كلية : الآداب

القسم او الفرع : / قسم الاجتماع

المرحلة: المرحلة الثانية

أستاذ المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

اسم المادة باللغة العربية : المجتمع العراقي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Iraqi Society

اسم المحاضرة السابعة باللغة العربية: تكملة محاضرة الفجوة بين الحاكم والمحكوم

اسم المحاضرة السابعة باللغة الإنكليزية : The gap between the ruler and the ruled

محتوى المحاضرة السابعة

تكملة محاضرة الفجوة بين الحاكم والمحكوم

يتضح مما تقدم أن نقد الوردي لظواهر ومشاكل اجتماعية عراقية كانت سائدة في المجتمع العراقي في النصف الاول من هذا القرن كان منطلقا من الكشف عن حالات مرضية وتشخيص علاجها وهذه هي أولى مهام الباحث الاجتماعي وقد كانت معظمها تمثل موضوعات حساسة جدا لا يتجرأ أي كاتب او ناقد أن يتناولها وينقدها الا اذا كان يحتل مكانة فكرية أو علمية متميزة في المجتمع بسبب امتلاكه الأفكار النيرة وله القدرة على الرؤية من خارج المجتمع إلى إمراضه ومشكلاته الاجتماعية لان طرح ظواهر ملتصقة بحياة الناس اليومية لمجتمع تقليدي تمتد جذوره الى ماض سحيق ولم تطرأ عليه تغيرات اجتماعية او اقتصادية عديدة وعميقة ، ويتم طرحها بشكل جماهيري من خلال الصحف والمجلات اليومية ، يحتاج الى جرأة قوية لتحمل تبعياتها السلبية التي قد تصل إلى النبذ الاجتماعي او الاتهامات الخطيرة بسبب

التغيرات السياسية والاقتصادية التي حصلت في العراق ، لكن الشيء الواضح في نقد الوردي ان تشخيصه للعلل الاجتماعية كان يتسم بالنظرة الشاملة ، فعند تشخيصه للعلاقة المرضية بين الشيخ والفلاح والغني والفقير والحاكم والمحكوم ، يأخذ شرائح اجتماعية ممتدة بشكل واسع في المجتمع العراقي ونظرته النقدية لبعض المعتقدات وطرائق العيش والسنن الاجتماعية كانت ثاقبة وغائرة في أعماق تراث المجتمع العراقي ، فكان اسلوبه السوسيولوجي يتصف بالشمول . أقول لم يتناول الموضوعات أو المشاكل او الظواهر الاجتماعية التي تحدث بين فردين او جماعة صغيرة الحجم او مشكلة اجتماعية طارئة على المجتمع العراقي بل الملتصقة بالحياة الاجتماعية العامة اي الخاصة بتاريخ وتراث الحدث لا بالحدث نفسه ، بالمصلحة الاجتماعية وليس الذاتية ، فجاء منهجه منهجا موضوعيا من دون تحيز فئوي او فردي لأنه لم يجامل الحدث الاجتماعي او الموقع الاقتصادي او السياسي المتميز داخليا ولم يبالغ في تسجيل الظاهرة او المشكلة بل شخصها كما المجتمع العراقي وابتعد كل البعد عن الغيبيات والمواعظ والخيال السوسيولوجي.

اللافت للنظر اسلوب الوردي انه ابتعد أيضا عن استعمال المصطلحات الغريبة والغربية او الرنانة الفارغة ، بل استعمل مصطلحات محلية للدلالة على الطرق عيش المجتمع العراقي وتحليلها في بيئتها المحلية مثل « عقدة الطبيخ » و « ابن اجاويد » وما شابه .

لكنني كنت اتمنى لو أن الاستاذ الوردي اختبر النظريات الاجتماعية الغربية التي استعملها في اطاره النظري ، فضلا عن دعمه لها ، لأنه بدعمه هذا قام بعمل برهاني لنصوص نظريات غربية بدلا من اختبارها في بيئة غير بيئتها لكي يتوصل الى قضايا أو نماذج نظرية تعكس البيئة العراقية.

ان سياق الدراسة يلزمني إلى أن أشير إلى موضوع لا يقل أهمية عن عنوان الدراسة وهو ان علم الاجتماع في المغرب العربي دخل عن طريق الاستعمار . أي الي المجتمع العربي درس من قبل باحثين اجتماعيين فرنسيين لأغراض سياسية استعمارية وليس لخدمة المجتمع العربي او لتشخيص مشاكله او علاجها « ان السيسيولوجيا في بدايتها في المغرب كانت مؤسسة ادارية وسياسية في خدمة الحماية الفرنسية .

فالعلاقة بين السياسة (الاستعمارية) والسيسيولوجيا علاقة جدلية تحدد خطوط البحث السوسيولوجي . ، بينما عرف العراقيون علم الاجتماع والدراسات الاجتماعية عن مجتمعهم بأسلوب ومنهج علمي وبعقلية عراقية لم تخدم سوى مجتمعها ، هدفها تسليط الضوء على الواقع الاجتماعي وخدمة المتعلمين والمثقفين ومحاربة الجهل والتخلف والجمود الاجتماعي ، وكان ذلك من خلال مؤلفات ودراسات ومقالات ومحاضرات الوردي - انه جيد وطني و علمي يستحق الافتخار به .

اما اسباب تسميته (الباحث الثنائي) ، فقد وجدناه يكرر في طروحاته الاجتماعية – العراقية مفاهيم اجتماعية ثنائية مترادفة ذات مضامين متعاكسة مثل البدو والحضر والشيخ والفلاح ، والغني والفقير ، والحاكم والمحكوم ، ان هذا الاسلوب المقارن بين مفردتين مختلفتين في العنوان والمضمون كان .. وما يزال سائد الاستعمال عند الاجتماعيين الغربيين أمثال ريد فيلد (المجتمع التقليدي والمجتمع الحضري) وتوليس (المجتمع العام والمجتمع المحلي) وبيكر (المجتمع الديني والمجتمع الدنيوي) والي جنوي (المجتمع المشافي والمجتمع الرفقي) وسبنسر (المجتمع الصناعي والمجتمع العسكري) ودوركهايم (التضامن الميكانيكي والتضامن العضوي) وكولي (الجماعة الأولية والجماعة الثانوية) وغيرها .